

دولة الإمارات العربية المتحدة
جامعة الوصل

مجلة جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكَّمة - نصف سنويَّة

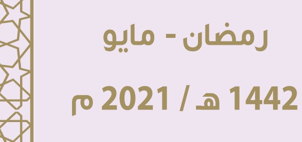
(صدر العدد الأول في 1410 هـ - 1990 م)

العدد الحادي والستون

البريد الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae
الموقع الإلكتروني: www.alwasl.ac.ae



61



رمضان - مايو
1442 هـ / 2021 م

عدد خاص
احتفاءً
بمسبار الأمل



مَجَلَّةُ جامعة الوصل

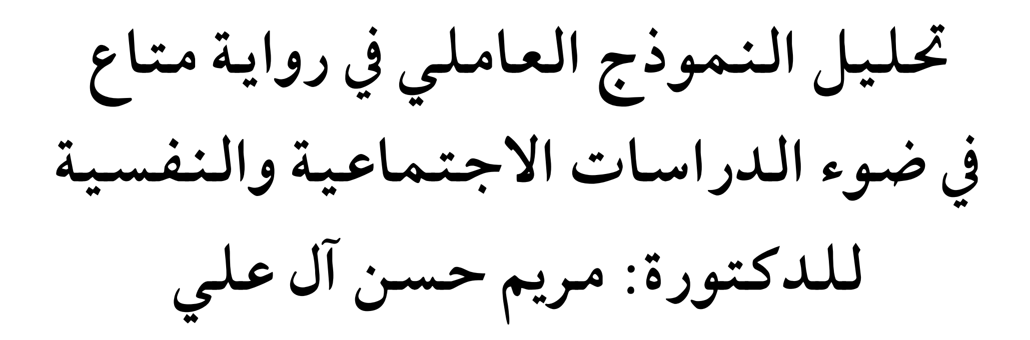
متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكَّمة - نصف سنويَّة

تأسست سنة ١٩٩٠ م
العدد الحادي والستون
رمضان ١٤٤٢ هـ - مايو ٢٠٢١ م

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩x
المجلة مفهرسة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦
البريد الإلكتروني: awuj@alwasl.ac.ae, research@alwasl.ac.ae

المحتويـــــــــات



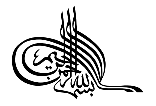
تحليل النموذج العاملي في رواية متاع في ضوء الدراسات الاجتماعية والنفسية للدكتورة: مريم حسن آل علي

Analyzing the Factor Pattern in the Novel (Mata'a) In the light of Social Psychological Studies for Dr.Mariam Hassan AL-Ali

د. ناجية علي راشد الخرجي
كليات التقنية العليا – الشارقة للطالبات

Dr. Najia Ali Rashied
HCT- Sharjah Women's Campus

https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i61.03



ملخص البحث

تهدف الدراسة لتحليل النموذج العامليِّ في رواية متاع؛ لرصد تفاعلها مع مثل هذه التحليلات؛ لتعيين القوى الفاعلة التي تسهم في نسج الأحداث.

والإشكالية هي أنّ التحليل العاملي يعد دراسة شكلية للنصوص، لا تتوغل رأسياً إلى عمق النص؛ لهذا ضمَّنتُ البحث تحليلاً للعوامل الاجتماعية والنفسية مع توظيف الرمز، سعياً وراء الربط بين الشكل والمضمون.

والتَزَمَتْ الدراسة بالمنهج التحليلي الذي يقوم على رصد القوى الفاعلة في النص، وتصنيفها إلى علاقات ثم تحليلها وفق النموذج العاملي قبل توظيف المعطيات الاجتماعية والنفسية؛ للكشف عن الأبعاد المتوارية لشخصيات النص.

أما عن إسهام البحث في حقل الدراسات الأدبية، فقد سعيتُ في دراستي للربط بين البنية السطحية المتمثلة في دراسة النموذج العاملي، وبين البنية العميقة من خلال الربط بين المستوى الشكلي مع الحقول المعرفية مثل: علم الاجتماع، وعلم النفس؛ لتسير الدراسة وفقاً لذلك في خطين متقاطعين، يمثل النص نقطة التقائهما.

الكلمات المفتاحية: النموذج العاملي، القوي الفاعلة في تحريك الأحداث، العوامل الاجتماعية المؤثرة، المؤثرات النفسية المشكِّلة للسلوك، توظيف عامل الرمز.

Abstract

The study objective is to analyze the factor pattern in the novel of Effects, in order to monitor its reactions with such analysis, to define effective powers which contribute in forming events.

The problem is that factor analysis after study of texts form, is not axially penetrated in the text depth, therefore I implemented analysis of social and psychological factors with utilization of symbol, to obtain shape and content.

The study committed to analytical method which is based on monitoring of active powers in the text, and categorized into relations, then analyze it according to factor pattern before use of social and psychological of data, to disclose hidden ranges of text characters.

As for contribution of the research in literary studies filed, I have aimed in my study to link between surface structure represented in study of factor pattern and deep structure through connecting form level with knowledge field such as: sociology, psychology, for leading the study accordingly in crossed lines, text resembles the junction thereof.

Keywords: Factor pattern, Active powers in motivation of events, Effective social factors, Psychological effects forming behavior, Utilization of symbol factor.

المقدمة

يرتبط النموذج العاملي بدراسة القوة الفاعلة في النص الحكائي؛ والقوة الفاعلة هي التي تقوم بتحريك الأحداث، وتوجيهها في اتجاه معين، إما بشكل إيجابي وإما بشكل سلبي، وهذه القوة الفاعلة يمكن أن تكون إنسانًا؛ أي شخصيات حية من لحم ودم، كما يمكن أن تكون حيوانًا أو جمادًا أو فكرة أو عاطفة أو أي شيء آخر، حيث يمكن لفكرة أن تغير مجرى الأحداث، كما يمكن لعاطفة الحب أو الكره أو الانتقام أن تُسهم في تطوير الأحداث في نص ما.

انطلاقًا مما سبق، فإنَّ دراسة النموذج العاملي تهدف إلى رصد العلاقات التي تجمع بين العوامل المختلفة في النص الحكائي، وفهم دورها وفق النموذج الذي وضعه (جريماس) لرسم شخصيات العمل الروائي.

وعلى مستوى التطبيق، جاء اختياري لرواية (متاع) محاولة رصد مدى استثمار الرواية لهذا النموذج العاملي من عدمه؛ فالرواية تبدي قابلية لدراسة شخصياتها في ضوء النموذج العاملي، نظرًا لكثرة هذه الشخصيات وتنوعها، فضلًا عما تتسم به بعض شخصياتها الرئيسة من أبعاد نفسيَّة أسهمت في رسم ملامحها، وتحديد سلوكها، وتشكيل علاقاتها.

يمكن القول، في ضوء ما سبق، إن المنهج الذي تعتمد عليه دراسة النموذج العاملي في رواية (متاع)، يعتمد على رفد هذه العوامل، وتصنيفها ثم تحديد العلاقات العاملية التي تربطها، وذلك وفق النموذج الذي وضعه (أ.جريماس)، بتوزيع هذه العوامل على ثلاث علاقات: الرغبة، والتواصل، والصراع.

وقد اعتمدت الدراسة منهجًا فنيّاً تحليليّاً، يقوم على رصد القوة الفاعلة في رواية (متاع)، ثم تصنيفها وفق هذا النموذج؛ للوقوف على مدى إسهامها في تحريك أحداث الرواية، وتطويرها، ودفعها.

ولم ترصد الدراسة جميع القوى الفاعلة في الرواية، وإنما اختارت أهم هذه القوي المؤثرة في رواية متاع التى تنهض عليها الأحداث.

و جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلَّت إليها هذه الدراسة.

المدخل

سعى (جريماس) إلي إيجاد صلة بين أدوار الشخصية ووظائفها اللغوية في علاقات عاملية، تُشكل نماذ ج محددة:

١- الذات- الموضوع.

٢- المرسل- المرسل إليه.

٣- المساعد- المعارض[١].

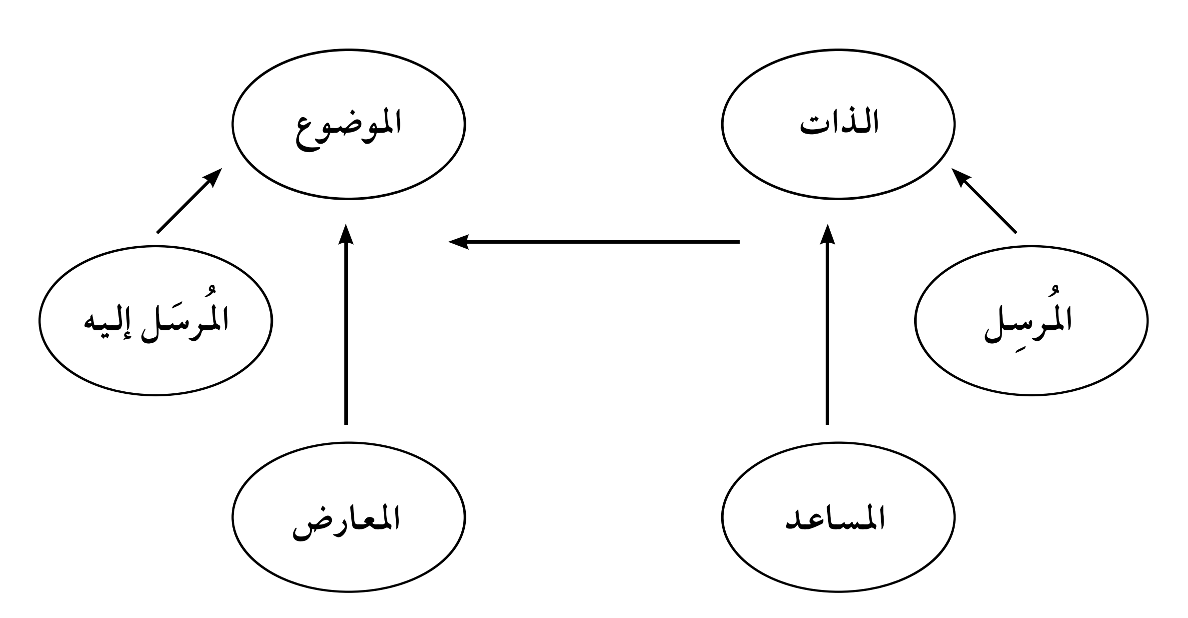
وذكر (تودوروف) أن هذه العلاقات قد تبدو مفرطة في التنوع؛ بسبب العدد الكبير من الشخصيات، ورأى أنه من السهل أن تُخْتَزل هذه العلاقات في ثلاث علاقات: (الرغبة)، و(التواصل)، و(الصراع)، بالرغم من أنه أكد على أن هذه العلاقات الثلاث تتسم بالعمومية؛ لأن هذا الاختزال سيكون مفرطًا يمنعنا من أن نحدد صنفًا سرديًّا عن طريق هذه العلاقات الثلاث؛ لهذا أضاف، وهو بصدد تحليل رواية (العلاقات الخطيرة)، علاقة رابعة سماها علاقة (المشاركة)، ورأى أنه لا ينبغي «اختزال جميع العلاقات البشرية في كل السرود إلى علاقات ثلاث» [٢].

١- غريماس، السيميائيات السردية (المكاسب والمشاريع)، ترجمة: سعيد بنكراد، ضمن كتاب: (طرائق تحليل السرد)، تأليف: مجموعة من الباحثين، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ١٩٩٢، ص ١٣٨.

٢- تزفيتان تودوروف، مقولات السرد الأدبي، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد صفا، ضمن كتاب: (طرائق تحليل السرد)، المرجع نفسه، ص ٤٨-٩٤.

إن وجهة النظر التي أشرنا إليها سابقا في تحليل الشخصية، بوصفها مجموعة أفعال تدخل في علاقات متعددة، تَحدَّث عنها (بارت)، عندما حدَّد وظيفة الشخصية في العمل الأدبي بقوله: إن المهم هو: «الانطلاق من إِسهامها داخل حلقة من الأفعال»[1].

إنَّ صورة هذه العلاقات الثلاثة التي تنتظم فيها العوامل، يمكن أن تتضح من خلال الشكل الآتي:



وقد ذكر (حميد لحمداني) أن العامل يمكن أن يُمثَّل بممثلين متعددين؛ لهذا فإنه ليس من الضروري أن يكون العامل شخصًا، بل يمكن أن يكون مجرد فكرة. ويرى (حميد لحمداني) أن (جريماس) بتمييزه هذا بين العامل والممثل قدّم تصُّورًا جديدًا للشخصية في القص، هو: «الشخصية المجردة، وهي قريبة من مدْلول (الشخصيات المعنوية) في عالم الاقتصاد»[2].

١- رولان بارت، التحليل البنيوي للسرد، ترجمة: حسن بحراوي وآخرون، ضمن كتاب طرائق تحليل السرد، المرجع نفسه.

٢- حميد لحمداني، بنية النص السردي في منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ص ٥١.

١ – علاقة الرغبة: الذات – الموضوع:

تتشكل هذه العلاقة نتيجة لرغبة (الذات) في تحقيق موضوع ما، وقد ميَّز (جريماس) بين نوعين من الذوات:

الأولى: سماها ذوات الحالة، وهي بحسب موقعها من الموضوعات، تكون مالكة للقيم.

والثانية: سماها ذوات الفعل، وهي تقوم بعملية الاتصال أو الانفصال التي تتعلق بالذات. يقول: «نجد أنفسنا ملزمين أن نعرض وأن نميز شكليًّا داخل هذا الغطاء الشفاف بين ذاتين مختلفتين:

- ذوات الحال. - ذوات الفعل.

الأولى يمكن عدّها – من خلال موقعها- من الموضوعات (اتصال أو انفصال) بوصفها مالكة للقيم، في حين تكون الثانية ذات فاعلة، وفي فعلْها هذا تقوم بعملية الاتصال أو الانفصال التي تخصُّ الذوات الأولى، ولا تتشكل رغبة الذات في تحقيق موضوع ما، إلا بتكوين قيمة قابلة للوصف لدى المتلقي»[1].

«فعندما تتشكل الذات يجب أن تتكوَّن لديها الرغبة في امتلاك موضوع قيمة قابلة للإنجاز»[2].

٢ – علاقة التواصل: المُرسَل – المُرسَل إليه:

إن علاقة الرغبة بين الذات والموضوع لا تتحقق إلا من خلال علاقة التواصل بين المُرسِل والمُرسَل إليه، لأن تحقيق أي رغبة لدى الذات لابد أن يكون وراءها دافع يحركها يسميه (جريماس) مرسلًا، يقول: «فإذا كانت الذات السيميائية تُحَدَّد

١- جريماس، مرجع سابق، ص ١٩٠.
٢- المرجع نفسه، ص ١٩٣.

بوصفها ذات فاعلة بفضل قدرتها على الفعل و(خلق كينونة الأشياء)، فإن المرسل منظورًا إليه من الزاوية نفسها هو الذي (يدفع الفعل)، أي يمارس فعلًا بهدف دفع الذات إلى الفعل»[1]، كما أن تَحَقُّق هذه الرغبة لا يتم بطريقة مطلقة، وإنما يكون موجِّهًا إلى عامل آخر يسمى مرسلًا إليه، فالمرسل إليه هو الذي يعترف لذات الإنجاز بأنها قامت بالمهمة أحسن قيام.

كما أشار (تودوروف) إلى العلاقة بين (المُرسِل) و (المُرسَل إليه)، وهو يتحدث عن المحمولات الأساسية، يقول: «وهو محمول بحصول الوعي والإدراك، وسيَدلُّ هذا المحمول على الفعل الذي يقع عندما تلاحظ الشخصية أن العلاقة التي تربطها بشخصية أخرى ليست هي العلاقة التي كانت تظن[2]».

وفي ضوء هذا التصور، نلاحظ أن الذات تنْدغم في المُرسِل، و(الموضوع) في المُرسَل إليه، وعلى هذا الأساس فإن الشخصيات الرئيسة والثانوية هي العامل المرسل الذي يتحرك، مقابل مسيرة الحياة التي أصبحت موضوع الاستمرار.

٣- علاقة الصراع: المساعد المعارض:

إذا كانت هناك عوامل جعلت الذات ترغب في تحقيق موضوع ما، وعوامل اعترفت للذات بتحقيق هذه الرغبة، فإن هناك عاملين آخرين يؤثران على رغبة الذات في تحقيق الموضوع:

العامل الأول: يدعى (المساعد)، وهو الذي يعين الذات على تحقيق رغبتها، والعامل الثاني يسمى (المعارض)، وهو الذي يقف في طريق الذات ويحول دون تحقيق رغبتها.

١- المرجع السابق، ص١٩٣.
٢- تودروف، مرجع سابق، ص٥١-٥٣.

وقد تحدث (تودوروف) عن هذه العلاقة، وسماها (علاقة المشاركة)، وذكر أن هذه العلاقة لها حضور قليل في الرواية، وأنها تابعة «لعلاقة الرغبة»[١].

ومن أجل التحديد، يتعين الآن وضع هذه الخطاطة في مواضع الاختبار، وذلك من خلال محاولة رصد هذه القوى الفاعلة في رواية متاع؛ للوقوف على مدى استثمار الرواية لهذا النموذج العاملي، وتأثيره في بنية أحداثها وتوجيهها.

ملخص الرواية:

قبل تناول رواية (متاع) بالدراسة والتحليل على ضوء النموذج العاملي، والمتمثِّل في رصد عناصر (الرؤية وتعدد الذوات السردية) يتعين- من أجل المقاربة- عرض الخطوط الرئيسة التي تتكون منها البنى المفصلية للرواية.

تبدأ الرواية بلقاء عاطفي بين بطل الرواية خالد عيسى وامرأة زارته في محبسه، عرفنا من الحوار بينهما أنها زوجته ملاك، ثم نكتشف أن تفاصيل هذا اللقاء لم تكن إلا حلمًا، عندما انتفض خالد من نومه مذعورًا.

ويقوم خالد عيسى بضرب سعيد خلفان الذي قطع عليه حلمه، قبل أن تنشأ بينهما صداقة عندما دعا سعيد خلفان زملاء الزنزانة إلى تناول الطعام، ولم ينس دعوة خالد عيسى لمشاركتهم الطعام، ويلح على خالد حتى يقبل هذه الدعوة، فتتوطد العلاقة بينهما.

وهكذا كان تعارف خالد وسعيد هو حكاية المفتتح التي تفرّع عنها الخط الرئيس للحدث، وما تفرعت عنه من حكايات فرعية، تماست مع الخط الرئيس للحكاية الأصلية، فتأثرت به وأثرت فيه، وذلك عندما بدأ خالد - عبر الاشتغال على آليه الاسترجاع - يروي لسعيد تفاصيل حياته، فخالد عيسى من أسرة طيبة،

١- تودروف، المرجع السابق، ص٥٣.

يعيش أزمة نفسية، جعلته يفقد الثقة في نفسه وذلك لاعتقاده أن زيادة وزنه هي السبب لرفض البنات الارتباط به.

ويتقدم خالد - بمساعدة أمه - للزواج من أميرة التي كان قبولها الزواج به مفاجأة له، ويثمر هذا الزواج عن طفلين، لكن أيام السعادة لم تطل بينهما كثيرًا، فسرعان ما دبَّ الخلاف ليقطع وشائج التواصل التي توهما وجودها، ولم تفلح وساطة الأهل في رأب الصدع ولم الشمل بين خالد وأميرة، ليقع الطلاق الأول.

ويقرر خالد السفر إلى القاهرة هربًا من أحزانه لدراسة الماجستير في القانون، نزولًا على نصيحة صديقة راشد. ليفاجَأ خالد في المطار بقرار المحكمة بمنعه من السفر، ويتدخل عبدالرحمن شقيق راشد، ليساعده - بعلاقاته - على السفر إلى القاهرة.

وفي القاهرة، يتعرف خالد على مواطنه عارف كمال الذي هوَّن عليه غربته، ووقف بجانبه مسْدِيًا له النصائح، التي أعانت خالدًا على الحياة في القاهرة، والتعامل مع الأساتذة والزملاء في الكلية.

بعد ذلك تفْلِح وساطة الأهلِ في رجوع خالد إلى أميرة، لكن هذا الرجوع لم يستمر، إذ سرعان ما انهار ليطلِّق خالد أميرة للمرة الثانية.

ويتقدم خالد للزواج من ملاك التي أقامت معه في القاهرة، واستطاع خالد بمساعدتها الحصول على درجة الماجستير في القانون بتفوق، ليعود للعمل في بلده مُحاميًا للأحوال الشخصية.

وسرعان ما يكتشف خالد أن حبه لملاك كان وهمًا، مما أثر بالسلب على علاقته بها، وذلك عندما تعلق بحب سوسن زميلته في العمل، التي قرَّرَ طلب يدها للزواج، لولا أنها رفضت أن تكون زوجة ثانية، ويرفض خالد تطليق ملاك ليس حبًّا لها، وإنما حفاظًا على استقرار أسرته.

ويتبدل حال خالد، حين راح يبالغ في الاهتمام بمظهره، والعناية بأناقته، والعمل على إنقاص وزنه، ليس من أجل ملاك، لكن إرضاء للدنجوان الذي بداخله، حتى يبدو رائقًا في عيون الحسناوات اللائي شرع في إقامة علاقات معهن، تلبية لنزواته، وحتى يسمو على عقدةِ النقص الكامنة في داخله تجاه الجنس الآخر.

وتصل العلاقة بين خالد وملاك إلى نقطة اللاَّعودة عندما اكتشفت تعلقه بإحدى موكلاته، فتطْلُب الطلاق انتصارًا لكرامتها، خاصة أن خالدًا لم يعد يقدِّر حبها له وتفانيها من أجله عندما تعامل معها بصلَف، ولم يحترم دموعها ويستجيب لتوسلاتها للاحتفاظ بكيان الأسرة، لكنه أصرَّ على المضي قدمًا في طريقة باحثًا عن متاع زائف، لا يدري هو ما طبيعته.

تحليل القوة الفاعلة في رواية متاع

«استفادت السيميائية من التراكم الكمي والمعرفي للدراسات اللسانية البنيوية، ودراسة الفلكور والميثولوجيا؛ فالسيميائية تركيبة الطبيعة، فهي تتركب من مفاهيم بيلوجية وفيزيائية، ومفاهيم الذكاء الاصطناعي»(١).

«وتتأسس السيميائية على أن كل نص له شكل ومضمون، والنتيجة التي تسعى للوصول إليها هي الكشف عن شكل المضمون»(*)؛ فالسميائية هي دراسة شكلية للمضمون تنفذ من خلال الشكل إلى سؤال الدَّوال، من أجل معرفة دقيقة وحقيقية للمعنى.

١- بوخاتم مولى علي، مصطلحات النقد العربي السيميائي / الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٥، ص ٣١-٣٢.

* تناول الشكلانيون الروس الشكل والمضمون حين ميّزوا في دراستهم للعمل الأدبي بين المتن والمبنى، للمزيد يراجع: توما شفسكي، نظرية الأغراض، ضمن كتاب: نظرية المنهج الشكلي / نصوص الشكلانيين الروس، تأليف: مجموعة من الباحثين، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الشركة العربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٢، ص ١٨٠ وما بعدها.

«وتمر السيميائية بالتحليل الآني، أي التحليل الذي يأخذ النص في لحظة التلفظ، وبمعنى آخر الذي يتناول النص في حالته التي هو عليها ومن ثمّ يتطلب الاستقراء الداخلي للوظائف النصية التي تُسهم في الكشف عن الدَّلالة، أو البحث عن شكل الوظائف داخل النص؛ أيْ رصد كل ما هو سوسيوتاريخي دون الاهتمام بنفسيَّة المبدع، فهو يعمل على العلاقات المولدة؛ أي أن الدلالة لا تتحقق قبل القراءة، وإنما تُستنبط من فعل القراءة[1].

وإذا تحدثنا عن المنهج البنيوي؛ فإنه يتعين علينا التذكير بمستويين: الأول هو: مستوى النسق والثاني هو: مستوى العلاقات؛ فهدف السيميائية الكشف عن العلاقات القائمة وراء البنيات السطحية، فهي تنطلق من نقطة النهاية التي وصل إليها التحليل اللِّساني؛ لأن هدف البنيوية الأسمى هو دراسة البنية السطحية الأفقية للجملة، في حين تسعى الدراسة السيميائية إلى ما هو وراء البنية السطحية للجملة غوصًا في البنيات العميقة للنص؛ «فالسيميائية إذًا تُعنى بالخطاب السردي»[2].

وعندما نطالع رواية (متاع) نلاحظ أنها تبدأ بهذا المفتتح «وجهها الطفولي البريء الذي يشبه فلقة القمر ليلة اكتماله لا يكاد يفارقني...عيناها تتلآلآن كنجمتين مضيئتين في عتمة أيامي...خدَّاها المكتنزان كأنهما تفاحتان بلون شقائق النعمان....يا اااه حقًا سنلتقي؟! مر زمن طويل جدًّا قبل أن أروّي قلبي المُعنّى بنظرة من مقلتيها.

١- رومان جادور، تحديد النموذج الفاعلي، ترجمة: أحمد السمادنة، مجلة دراسات مغربية، الدار البيضاء، العدد ٨، ١٩٩٨، ص ٢٤.
٢- سعيد يقطين، قال الروائي / البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١٩٩٧، ١، ص١٤.
وينظر أيضاً: رابح بحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابه الجزائر، ط١، ١٩٩٧، ص ٤٢ -٤٣.

شعرت وأنا أذرع الممر الطويل المؤدي إلى غرفة استقبال الزوّار، والتي تقع في المبنى المقابل القريب من البوابة الرئيسية، أنني أسافر عبر الزمن، وأقطع المسافة من زهرة شبابي، وسنّي عمري التي قاربت الأربعين...»[(١)].

في هذه الافتتاحية، اختزل خالد عبر آلية الاسترجاع سنوات طويلة من حياته، مهّد بها لعلاقته مع سعيد وهي الحكاية الرئيسة التي تفرعت منها البرامج السردية في الرواية، وهي علاقة اتصال جزئية، نشأت داخل السجن بين خالد عيسى العامل الذات في الرواية وبين صديقه سعيد، تلك العلاقة الجزئية التي توسل بها خالد لسرد العلاقات الكلية التي قدمها البرنامج السردي داخل الحكي، يقول خالد: «بعد أن أيقَظَهُ سعيد من حلم جميل: انتفضت كما ينتفض الطير الذي بلَّله المطر، وجلست على سريري وأنا أستعيذ من إبليس، وأطرد فكرة أن أُطْبِقُ بكلتا يدي على عنقه وأنهي حياته كما أنهي حلمي قبل أن أحصل على مرادي! صرخت:

- ما «أبي» آكل... «خلني» على راحتي، قومتني من أحلى حلم في حياتي.
- قلت عبارتي بامتعاض وأنا أشيح بوجهي عنه كي لا أقتله !...عندما عاد سعيد من الزيارة، كان قد سمح له أن يجلب الطعام إلى الزنزانه...تحلق حوله الرجال يلتهمون ما لذَّ وطاب من الطعام المنزلي الذي افتقدناه... وانتحيت جانبًا مستلقيًا على سريري لا أنظر جهتهم...فإذا به يقف على رأسي...
- خالد...حياك أقرب...تعال كل «ويانا».
- ما قصرت، «مويوعان».
- قم، ولا تعقد الأمور...ما صار إلا الخير.

١- مريم حسن آل علي، رواية متاع، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٧، ص ٩.

نظرت إلى وجهه المنتفخ، وأنفه المكسور... وكتمت رغبةً بالبكاء اجتاحتني... رغم ما فعلته به ما زال يحفظ الود... .تعانقنا وصفَّقَ كل من في الزاوية فرحًا»[1].

هكذا مثَّلت حكاية تعارف خالد بسعيد المفتتح التي تولَّدت منها أحداث الرواية في شكل عنقودي، من خلال عمليات الاسترجاع التي قام بها خالد.

وينبغي التنويه إلى أن تحليل البنية السردية في أي نص يستوجب التمييز بين الحكاية والخطاب؛ «فهو حكاية باعتباره يثير واقعًا، وبالتالي نفترض أشخاصًا يُؤَدُّون الأحداث، ويختلطون بصورهم المروية مع الحياة الواقعية»[2]. والعمل الروائي السردي هو خطاب باعتباره يحتاج إلى صيغة تروى بها أفعال الأشخاص، وترتيب هذه الأحداث، مما يستوجب وجود راوٍ يروي الأحداث، وقارئ يتلقى ما يرويه هذا الراوي، وبذلك لا تصبح مجموعةُ الأحداث التي رويت في العمل السردي هي الأهم، بل كيْفيَّة الرواية؛ أي كيف استطاع الراوي أن يروي الحكاية، وهذا لا يجعل العمل الروائي عملًا فحسب، بل هو خطاب أيضًا، ما يعني عدم الفصل بين الحكاية والخطاب، فلا وجود للحكاية دون خطاب، ولا وجود للخطاب دون حكاية.

وسنعتمد في تحليل المسار السردي وبناء الحدث في رواية متاع على تحديد أهم البرامج السردية المنجزة من قبل الذات الرئيسة الفاعلة والذوات الأخرى في الرواية.

«وحتى تتضح الصورة ينبغي الإشارة إلى أن المقصود بالبرنامج السردي هو تتابع الحالات وتحولاتها المتسلسلة على أساس العلاقات بين الفاعل والموضوع

١- رواية متاع، مصدر سابق، ص ١٥ و٣٢.
٢- يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، سلسلة دراسات نقدية، الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص ٢٧.

وتحوّلها، فهو التحقق الخصوصي لمقطوعة سردية معطاة»[١].

وعندما نطالع رواية (متاع) نلاحظ أن البرنامج السردي الأول الذي سعت الذات الرئيسة إلى تحقيقه هو رغبتها في إنجاز قيمة ما؛ فخالد بطل الرواية يمثل العامل الذات الذي كان يحلم بتحقيق موضوع، وهو العثور على فتاة تحبه، وترضى به زوجًا بحثًا عن الاستقرار العاطفي، حتى عثر على (أميرة)، يقول خالد: «عشت أيام الزواج الأولى شهريارًا مع (أميرتي)...ومع كل يوم يمر يزداد تعلقي بها... وحبي لها... فتنتني بغنجها...ودلالها....كانت المرأة الأولى في حياتي... وللبدايات- كما قلت - طعم مختلف!»[٢].

وكان الدافع (المُرسِل) الذي جعل خالد يرغب في البحث عن أنثى توافق عليه، فشله المتكرر عدة مرات في إتمام زيجاته، مما ولّد لديه رغبة في إثبات ذاته، يقول: «لم أعلّق على كلام أمي...فهي تراني أجمل مَن في الكون...إلّا أنَّ ألم الرفض هذا ترك أثرًا عميقًا في قلبي... وبدأ الغيظ يرتفع مؤشره داخلي... إلا أنني لم أظهره يومًا»[٣].

ومثّلت رغبة خالد في إتمام نصف دينه دافعًا آخر للذات حتى تنجز موضوعها، يقول: «وصار الوقت مناسبًا لأكمل شطر ديني»[٤].

كما كان إحساس خالد بذاته دافعًا آخر يضاف إلى الدافعين السابقين، يقول:» ألا يمكن أن ينظرن إِلى ما أنا عليه من التزام وما أحمله من شهادة جامعيَّة؟!»[٥].

وإذا كانت الذات ترغب في إنجاز موضوع ما، يدفعها لذلك دافع،

١- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص ١٤٨.

٢- رواية متاع، مصدر سابق، ص ٦٥.

٣- المصدر نفسه، ص٦٢.

٤- المصدر نفسه، ص ٦١.

٥- المصدر نفسه، ص ٦٢.

هو (المُرسِل) فلا بد من توافر عدد من العوامل يساعدون الذات على إنجاز موضوعها، يعرف هذا العامل بـ (المساعد)، حيث لعبت الخاطبة مع أم خالد والجارة التي أشارت عليها بتزويجه، دور المساعدين، يقول خالد: «أشارت عليها إحدى جاراتها بأن تذهب إلى الخطَّابة (أم عادل)، فهي تعرف العوائل جيدًا... وهي من سترشح لي الفتاة المناسبة...»[١].

وكانت جرأة أميرة عاملًا مساعدًا لخالد لاستعادة ثقته في نفسه، والمضي في تحقيق رغبته، يقول: «قطعت أميرة عليَّ صمتي بقولها: «شنو» تشتغل يا خالد؟ صدمتني جرأتها وحفَّزتني للحديث عن نفسي، فإذا بالجليد الذي كان يغلِّفني ويمنعني من الحديث يذوب... انطلقت في حديث متواصل عن نفسي...»[٢].

ولا يمكن- ونحن بصدد الحديث عن العامل المساعد- أن نغفل سماح أسرة خالد له بالزواج في بيت العائلة، يقول: «بعد حفلة العرس البسيطة التي أقامتها عائلتي... انتقلت أميرة للسكن معي في غرفتي في بيت والدي بعد أن استبدلت أثاثها -على عادة الرجل عندنا في بداية زواجه- فراتبي لا يسمح باستئجار منزل منفصل»[٣].

وفي مقابل العامل (المساعد) يقف العامل (المعارض) حائلًا يعوق الذات عن إنجاز موضوعها؛ ففتور العلاقة الزوجية نتيجة لصراخ طفلهما المتكرر، وانصراف أميرة عن خالد ولَّدَ لديه الحنق والغيرة، يقول: «أما أميرة فقد حوَّلت كل اهتمامها ومشاعرها تجاه طفلنا الجديد، لا أستطيع أن أنكر أنني كنت في مرات كثيرة أشعر بالغيرة لاهتمامها به، وإِهمالها التام لي، هل يغار الرجل من اهتمام زوجته بطفله؟...»[٤].

١- رواية متاع، مصدر سابق، ص ٦١.
٢- المصدر نفسه، ص ٦٤.
٣- المصدر نفسه، ص٦٤.
٤- المصدر نفسه، ص ٨١.

كما مثل نزق أميرة وأنانيتها عاملًا معارضًا أصاب علاقتها مع خالد بمزيد من التوتر، يقول: «دخلت البيت فإذا بها بكامل زينتها تتأهب للخروج، سألتها مستغربًا:

- وين «رايحة»؟
- «بروح» بيت أمي، عندنا استقبال اليوم. الحريم بييون يباركون لي على الولادة.
- و«الغدا»؟
- أي «غدا»؟
- «غداي».
- «أووه» خالد...

قلت لك أطلب من المطعم أنت «شايف» إنه في وقت «علشان» أطبخ.

- بس عندج وقت علشان «تكشخين» «وتروحين» بيت «أمج»...»[1].

ولا يمكن لهذه الخطاطة أن تكتمل دون الكشف عن العامل (المُرسَل إليه) وهو الاعتراف بالذات بأنها نجحت في إنجاز مهمتها أو فشلت في إتمامها، فالهوَّة بين خالد وأميرة أخذت تزداد اتساعًا عندما قال:» مددت يدي عليها هذه المرة... وأنا موقن أنني أسجل آخر السطور في فصول قصتي معها...»[2]، حتى وصلت العلاقة بينهما إلى نقطة النهاية، عندما طلقها للمرة الثالثة، يقول: «وفي ظهيرة أحد الأيام، وبينما كنت مستلقيًا بعد الغذاء...انتبهت إلى ورود رسالة منها على الجوال... طِرت فرحًا ظنًا مني أنها ستعتذر لأنها أخطأت في حقي وأنها لن

١- رواية متاع، مصدر سابق، ص ٨٢ -٨٣.
٢- المصدر نفسه، ص ٨٣.

تستطيع العيش بدوني... كاد قلبي أن يقف من هول الصدمة... كَتَبَت باختصار: أنا ما أحبك.. طلقني!»[1].

لقد بدا جليّاً من خلال استعراض خطاطة العوامل في رواية (متاع) أن الذات هنا فشلت في إنجاز موضوعها؛ فخالد الذي رفضته ست بنات من قبل، فشل في الحفاظ على كيان أسرته، رغم وجود طفلين، ورغم محاولات أبيه وأمه إثناءه عن تطليق أميرة.

ولا يمكن تحميل أميرة وحدها مسؤولية فشل هذا الزواج، فخالد يعد شريكًا أصيلًا لها في انهيار الأسرة، بما اتسم به هو أيضًا من نزق وأنانية وثقة مفرطة في نفسه وعدم تحمله لأي مسؤولية وتوقه الدائم إلى التحرر من كل قيد.

وهكذا جاء اعتراف الذات بمسؤوليتها عن فشلها في إنجاز موضوعها؛ فها هو خالد يعترف قائلًا: «في كل حياتي... أظلَّ أُلحُّ على الشيء حتى إذا ملكته، زهدت فيه! ولكن هذا المبدأ السخيف لا يمكن تطبيقه على الحياة الزوجية! فالزواج (ميثاق غليظ) و ليس لعبة أتسلى بها»[2].

كما يمكن للذات في العمل الواحد أن ترغب في إنجاز أكثر من موضوع، وهو ما تحقق في رواية متاع؛ فالذات الرئيسة خالد الذي فشل في بناء أسرة، أراد أن يبحث لنفسه عن منطقة أخرى، يحقق فيها ذاته؛ فكان قراره بالسفر إلى القاهرة لاستكمال دراسته في كلية الحقوق.

ففي الوقت الذي كانت شمس العلاقة بين خالد وأميرة آخذة في الأفول، يقرر خالد السفر إلى القاهرة، يقول: «بدأت أبحث عن منفذ آخر يُشعرني بالرضا عن ذاتي... ذاتي التي باتت صدئة لكثرة ما عانيت من مشاكل أثناء السنتين

١- رواية متاع، مصدر سابق، ص ١٢٦.
٢- المصدر نفسه، ص ٨٩.

الماضِيَتيْن... قررت أن أكمل دراستي العليا... و قررت السفر إلى القاهرة لإكمال إجراءات الالتحاق بالجامعة...»[١].

وكان دافع خالد للسفر إلى القاهرة - إضافة إلى رغبته في تحقيق ذاته- هو رغبته في الهرب من أجواء مشاكله الأسرية، يقول: «كنت في الحقيقة بحاجة إلى الهرب من أجواء البيت المشحونة بالمشاكل... فقد يثمر البعد شيئًا من الشوق واللهفة... أو قد يعيد الشَّغف المفقود إلى حياتي التي تشكو من الرَّتابة والملل!»[٢].

وهكذا، وصل خالد إلى القاهرة، و يصف لحظة وصوله قائلًا: «حطَّت الطائرة في مطار القاهرة الدولي... انتابتني الرهبة وأنا أدخل المطار، فقد كانت المرة الأولى التي أسافر فيها وحدي... كنت بحاجة إلى خلْوة مع نفسي لأعيد حساباتي...»[٣].

ووفقًا للنموذ ج العاملي، هناك عدد من القوى الفاعلة التي أدت دور العامل المساعد، ومن هؤلاء المساعدين الذين أعانوا الذات على إنجاز موضوعها: راشد صديق خالد، الذي ذلَّل له السفر إلى القاهرة بعد الحكم بمنعه من السفر «استطاع عبدالرحمن شقيق راشد من خلال شبكة معارفه في المطار أن يلغي منع السفر مُؤقَّتًا، فصار بإمكاني أن أطير في أي وقت...»[٤].

كما أدى والد خالد دور العامل المساعد، حين رحَّب بسفره إلى القاهرة مُشجِّعًا له على المضي قُدمًا في هذه الخطوة «شاورت والدي في الأمر فأظهر تأييده لي وشجعني على مواصلة الدراسة وتعليمي العالي...»[٥].

١- رواية متاع، مصدر سابق، ص ١٠٢ -١٠٣.
٢- المصدر نفسه، ص ١٠٣.
٣- المصدر نفسه، ص١٠٧.
٤- المصدر نفسه، ص ١٤٣.
٥- المصدر نفسه، ص ١٠٢.

وعندما وصل خالد إلى القاهرة ظهر عامل مساعد جديد، أسهم في دفع الذات إلى إنجاز موضوعها، هو عارف كمال الخليجي الذي قابله خالد في مقهى الفيشاوي.

«استأذن عارف أن يشغل الكرسي الفارغ الذي بجواري فرحبت به... شاب رياضي البنية، عرفت لاحقًا أنه يسكن في منطقه مجاورة لبيت والدي، وأنه جاء إلى القاهرة لإكمال دراسة الماجستير في الآداب في الجامعة نفسها التي يُفْتَرض بي أن أسجل فيها يوم غد.. وكأن القدر قد ساقه لي؛ ليرشدني إلى كيفية الوصول إلى الجامعة...»(1).

كما برز في الرواية عدد من الممثلين الذين مارسوا العامل المساعد، نحو: رئيس القسم الذي استقبل خالد بحفاوة، وعرَّفه على أساتذته الذين استجابوا لطلبه بتيسير حضوره المحاضرات «كانت أموري ميسرة بالفعل ولله الحمد... صَعدْت السلالم إلى الطابق العلوي لألتقي برئيس القسم الذي أبدى ترحيبًا حارًا جعلني أستبشر خيرًا...سألته عن أسماء أساتذتي لأستأذنهم في حضور محاضرتين في الشهر، وتفويت اثنتين؛ فوافقوا أن أعوض غيابي بتقارير بحثية إضافية تخص المادة المشروحة»...(2).

ومن العوامل المساعدة الأخرى التي أعانت الذات على إنجاز موضوعها زملاء خالد في الكلية «اتفقت مع بعض الزملاء أن يدونوا لي ما يقوله الأستاذ من ملاحظات؛ ليتسنى لي تعويض ما يفوتني من دروس عندما أعود الشهر القادم...»(3).

كما أفصحت الذات (خالد) عن استمتاعه بالإقامة في القاهرة مع زوجته

١- رواية متاع، مصدر سابق، ص١١٠ -١١١.
٢- المصدر نفسه، ص١١٣.
٣- المصدر نفسه، ص ١١٥.

الثانية ملاك «شهدت مصر على حبنا الذي ولد فيها...امتزجت مشاعرنا بعراقة تاريخها العتيق...نثرنا في كل مكان ذهبنا إليه شيئاً من حبنا...»[١].

وإذا كان هناك عدد من الممثلين لعبوا دور العامل المساعد فإنّ - وفقًا لهذه الترسيمة السردية - ظهرت عوامل مناوئة قامت بدور العامل المعارض، من أجل منع الذات من إنجاز موضوعها.

ولعل أهم عامل معارض كاد يحيل بين الذات وإنجاز موضوعها هو: قرار المحكمة بمنع خالد من السفر «دخلت في الموضوع مباشرة؛ كي لا أطيل المكوث، أو أسرق الرجل من أهله في يوم إجازته...

- عليّ منع سفر في المطار، وما قدرت أروح القاهرة اليوم.
- ليش؟ منو مانعك من السفر؟
- أم العيال حاطة منع السفر؛ لأني ما دفعت مصاريف الخدامة...»[٢].

ويأتي الاعتراف للذات بأنها قامت بإنجاز مهمتها، عندما نال خالد درجة الماجستير في القانون من كلية الحقوق، يقول: «في يوم الأربعاء الموافق ١٧ / ١٢ / ٢٠٠٦... تقرر منح الطالب خالد عيسى محمد عيسى الدرجة العلمية بعد الأخذ بملاحظات اللجنة»[٣].

ويعود خالد إلى الوطن ويعمل محاميًا للأحوال الشخصية «أنهيت إجراءات الحصول على الشهادة، وعدت إلى الوطن، وتعيَّنْت في وزارتي كمحام للأحوال الشخصية...»[٤].

١- رواية متاع، مصدر سابق، ص ١٦٦.
٢- المصدر نفسه، ص ١٤٢.
٣- المصدر نفسه، ص ١٧١.
٤- المصدر نفسه، ص١٧٣.

إن العامل الذات - وفقًا للنموذج العاملي - يمكن أن يرغب في إنجاز موضوع واحد أو موضوعين أو أكثر، وهذا ما تقدمه رواية متاع؛ فخالد الذي نجح في الحصول على درجة الماجستير، بعد أن فشل في الحفاظ على أسرته، رَغِب في الزواج للمرة الثانية، حتى يسمو على فشله الأول، وإرضاءً لذاته المتضخمة يقول:» قررت الزواج مرة ثانية، وأبيك تساعدني»[1].

وكان (المرسل)؛ أي الدافع الذي جعل الذات ترغب في إنجاز موضوعها هو رغبة خالد عيسى في الاستقرار، يقول: ««أبي» تساعدني؟ اختار «مَرَة زينة»، تكون شريكة حياتي، وأستقر معاها، و...»[2].

مثَّلت صفات ملاك الطيبة دافعًا لخالد بالزواج منها «وبدأ يسترسل في حديثه عن البنت التي يعرفها...مدح طيبتها، وأثنى على أخلاقها العالية، وبالغ في الإشادة بتربية أمها لها»[3].

وقد أدى صديقه راشد دور العامل المساعد الذي ساعد الذات على إنجاز موضوعها عندما قال: «في «شنو» تحب أساعدك»[4].

وقد عاش خالد متوهِّمًا السعادة مع زوجته الثانية ملاك، يقول: «كنت أترقب نهاية الأسبوع بنفاذ صبر...لأطير إليها شوقاً...كنت مكتفيًا بها عن كل البشر... كانت لي حبيبة وصديقة وزوجة»[5].

لكن ما حدث هو أن مشاعر خالد تجاه ملاك أخذت في التبدد، يقول: «راهَنَت ملاك على حبي، ولم تعلم المسكينة أنها ستخسر الرهان... لم أكن أعرف للحب مذهبًا خارج أناي...لأنني لم أحب غيرها... وجاء زواج أميرة

١- رواية متاع، مصدر سابق، ص١٤٧.
٢- المصدر نفسه، ص ١٤٧.
٣- المصدر نفسه، ص١٤٨.
٤- المصدر نفسه، ص ١٤٧.
٥- المصدر نفسه، ص ١٦٥.

ليغتال كل مشاعر الحب داخلي لملاك...!»[١].

ويبرز في الرواية عدد من الممثلين الذين أدوا دور العامل المعارض الذي نجح في منع الذات من إنجاز موضوعها؛ فشبح أميرة - الزوجة السابقة لخالد - ظل يطارده منغِّصًا عليه حياته مع ملاك، فكانت أميرة حاضرة في كل موقف تبديه ملاك من أجل إسعاد خالد» كانت علاقتي بملاك يشوبها شيء من الغرابة...؛ فعلى الرغم من الحب والاستقرار والحنان الذي أحاطتني به...إلاّ إنها دخلت في دائرة المقارنة -لا إراديّاً داخلي - مع زوجتي السابقة!»[٢].

ويظهر التناقض جليّاً في شخصية خالد؛ فهو وإن كان يُظهر حبه لملاك لم يتورع عن خوض علاقة جديدة مع زميلة العمل (سوسن) التي توهم أيضًا أنه يحبها «كانت ملاك خطًّا أحمر، لا أسمح لأحد مهما كان أن يقرب منها...بدأت أتحايل عليها لتوافق لكنها كانت مصرّة على موقفها...وضعتني بين نارين... لم أعرف كيف أتصرف؟ لكنني حتمًا لم أفرط في ملاك بعد كل ما فعلته من أجلي! أنهت علاقتها بي بعد إصراري على موقفي قائلة: «أنا ما أحب أكون زوجة ثانية»[٣].

ويتجلى الخلل واضحًا في شخصية خالد كاشفًا عن طبيعته الحقيقية، فهو بنزقه وأنانيته لم يعرف معنى الحب الحقيقي، وإنما بدا جليّاً أنه كان يستلذ بممارسة شعور الإحساس بالحب، وذلك عندما لم يكتفِ بعلاقته الزوجية وراح يخوض علاقات مع نساء أخريات خارج إطار الزواج «كانت كريمة في حبها... وكنت أستغل سكوتها المستمر وغفرانها لنزواتي لأتمادى في علاقاتي مع الجنس الآخر...»[٤].

١- رواية متاع، مصدر سابق، ص ١٧٣.
٢- المصدر نفسه، ص ١٦٨.
٣- المصدر نفسه، ص ١٧٥.
٤- المصدر نفسه، ص ١٧٦.

هكذا، نلاحظ أن عامل الذات في رواية متاع فشل في إنجاز موضوعه، فسعي خالد وراء النساء ورغبته في الزواج من أخرى لم يكن إلاَّ وليد شعوره بالانتقام ممن رفضنه من قبل بسبب وزنه، وها هو يعلن صراحة عن زيف مشاعره «حادثت نصف بنات البلد، وخرجت مع النص الآخر بحجة البحث عن زوجة أخرى! كنت في الحقيقة مستمتعًا برؤيتهن وهن يتسولن كلمة حب مني... أبيع حبي المزيف لمن تتفنن كلمات الحب والغرام...صرت محترفًا وشعرت بأنني انتقمت لنفسي يوم رفضتني النساء بحجة وزني!»[1].

وتصل الأزمة بين خالد وملاك إلى ذروتها، حيث نقطة اللّاعودة، حين بادرها قائلًا: «بدأت حديثي بكل صراحة ووقاحة...

- ملاك «إحنا» متزوجين من خمس سنوات، و»إنت» ما قصرت «معاي»..«بس» في الفترة الأخيرة ما قمت تهتمين «فيني» ولا بأكلي مثل قبل»...[2].

إن طموح هذه الدراسة لرصد القوى الفاعلة في رواية متاع كشف عن تحقق الاتصال بين العامل الذات والعامل الموضوع داخل هذا البرنامج السردي في رغبة واحدة استطاع العامل الذات إنجازها، وهي حصول خالد على درجة الماجستير من كلية الحقوق.

وتحقق الانفصال بين العامل الذات والعامل الموضوع مرتين داخل هذا البرنامج السردي، الأولى: عندما فشل زواج خالد من أميرة، والثانية: عندما فشل في الاحتفاظ بزوجته الثانية ملاك، بسبب الشرخ الذي أصاب علاقتهما بالصدّع؛ مما يعني أن العامل الذات- وفق هذه الترسيمة- قد فشل فشلًا ذريعًا

١- رواية متاع، مصدر سابق، ص ١٧٨.
٢- المصدر نفسه، ص ١٨٢ - ١٨٣.

في الوصول إلى تحقيق موضوعها، برغم حصوله على درجة الماجستير، إلا أنها لم تحقق له السعادة التي كان ينشدها، بل زادت من شقائه، عندما عمَّقت لديه الإحساس بذاته الذي قضى على علاقته بأميرة، ثم باتساع الفجوة بينه وبين ملاك؛ فظل خالد يدور داخل حلقة مفرغة باحثًا عن متاع هو نفسه لا يدري ماهيته.

شخصية خالد في ضوء المؤثرات الاجتماعية والنفسية:

إن هذا التصور الشكلي لمفهوم الشخصية في ضوء النموذج العاملي الذي قدمته رواية متاع لا يكتمل دون محاولة رصد محاولة المؤثرات الاجتماعية النفسية التي أسهمت في تشكيل شخصية خالد (العامل الذات) في الرواية؛ للوقوف على أبعادها الكاملة التي رسمت سلوكها، وحددت نوازعها النفسية.

وتُعَدُّ الشخصية أولى لبنات البناء الاجتماعي في أي مجتمع؛ فالشخصية بقدر ما تؤثر في المجتمع، يؤثر المجتمع في بنيتها، وبعبارة أخري فإن الشخصية هي: «التكامل النفسي والاجتماعي السلوكي عند الكائن الحي الإنساني الذي تعبر عنه العادات والاتجاهات والآراء»[١].

وإذا طالعنا شخصية خالد نلاحظ أن سلوكه الاجتماعي لم يتعارض مع سلوكه الفيزيولوجي، فقد نشأ في مجتمع مغلق، يُعلي من سطوة الذكر، ما عمّق من إحساسه بذاته، لكنه واجه صدمة شديدة برفض أكثر من فتاة الزواج منه؛ لذلك راح يمارس هذا التسلط الذكوري مع أميرة أول فتاة تقبل الزواج منه، وتورط في خيانة زوجته الثانية ملاك، وكأنه بذلك ينتقم لنفسه المتضخمة من بنات حواء في شخص أميرة وملاك.

وهكذا جاءت مواقف خالد صدى لتنشئته الاجتماعية، ولكنَّ أهم هذه الصفات السلوكية - إلى جانب تسلطه وخيانته - كانت أنانيته التي نستطيع أن

١- سامية أحمد الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار الفكر العربي، مصر، ط٣، ص ٨١١.

نقول أنها الملمح الأول الذي رسم سلوكه الاجتماعي، حتى أنَّ صداقته لراشد وعارف تأثرت بأنانيته؛ فالواضح أن خالدًا كان يتعامل معهما بمنطق المصلحة، والدليل على أن هذه الصداقة قد خلَت من الحميميَّة، فضلًا أنها لم تتواصل على مدار أحداث الرواية، اللَّهم فقط في المواقف التي كان خالد يحتاج فيها إلى مساعدة صديقية.

ويرى علماء السلوك «أن مجموعة المظاهر الخارجية للشخص يمكن اعتبارها مجموعة العادات السلوكية للفرد في حين يرى علماء التحليل النفسي أن الشخصية هي قوى داخلية تواجه الفرد في كل تصرفاته»[1].

وفي ضوء هذا المعطى النفسي، نلاحظ أن شخصية خالد تشكلت بوصفها نتاجًا معقدًا ومتراكمًا للثوابت والمتغيرات التي واجهها أثناء حياته، بداية من الأسرة وتدليل الأم له، مرورًا برفض الفتيات الزواج منه، واصطدامه بعناد أميرة، وانتهاءً بحياة الاستقرار التي حاولت ملاك خلقها له وتذليلها لصالحه.

كل هذه المتغيرات شكَّلت شخصية خالد وجعلت منه إنسانًا يُعاني من عقدٍ نفسيَّة، فشل في التسامى فوقها، رغم حصوله على درجة الماجستير وصعوده السلم الاجتماعي، إلا أنه سقط في هوه الاضطراب النفسي، فكان بذلك كما يريد الارتواء بماء البحر المالح، فلا يجد إلا مزيدًا من الظمأ.

صورة المرأة في رواية متاع:

كشفت القراءة عن أن الرواية سعت إلى معالجة العديد من القضايا الاجتماعية، مثل: علاقة الرجل بالمرأة، والطلاق، وتعدد الزوجات، ومحاولة المرأة التمرد على واقعها الاجتماعي، وعلاقة الأب مع أبنائه وغيرها من الموضوعات ذات الصلة.

١- عبد الوهاب الرفيق، في السرد، دراسات تطبيقية، دار محمد على الحامي، تونس، ١٧٧٥، ص١٣٢.

فقد بدا واضحًا أن الكاتبة تنحاز إلى المرأة، بما قدمته من نماذج، نجحت من خلال رسمها في التعبير عن هموم المرأة وقضاياها ومعانتها من نرجسية الرجل؛ مثل: أميرة الزوجة الأولى لخالد رغم تسلطها، إلاَّ أن الكاتبة تعمدت رسمها على هذا النحو؛ لتكون المناوئ لذكورية خالد، وقد وفِّقت الكاتبة إلى حد **كبير من خلال– أميرة موقف الند– لخالد في الإفصاح عن وجهة نظرها، فظل شبح أميرة يطارد خالد حتى بعد انفصاله عنها، لينغص عليه حياته مع كل النساء اللاتي عرفهن بعد ذلك.**

كما أن شخصية ملاك نموذج آخر لشخصية المرأة الإيجابية، فرغم محاولاتها الحثيثة للحفاظ على كيان البيت، واستقرار الأسرة، رغم علمها بعلاقات خالد النسائية قررت في النهاية ألا تستمر احتجاجًا على تمادي خالد في خيانتها.

ورغم طيبة والدة خالد، وما بدت عليه من ضعف إلا أنها هي الأخرى كانت تمتلك القرار؛ فهي من نجحت في تزويج خالد، وسعت إلى المحافظة على بيته بمحاولاتها رد خالد إلى زوجته بعد طلاق أميرة، وقد وُفِّقت في ذلك مرتين؛ قبل أن ينهار البيت نهائيًا.

رمزية السجن:

نلاحظ أن خالد الذي قضى فترة محكومية في السجن عاش بعد إطلاق سراحه في سجن أكبر وأشد وحشة، عندما لم يتخلص من رغبته الشديدة في تحقيق طموحاته التي لن يبلغها أبدًا، فظل لذلك أسيرًا في المنطقة الوسطى بين أحلامه وإمكانياته النفسية والثقافية التي لن تمكنه من بلوغها، من هنا تتجلى رمزية السجن في الرواية؛ فالسجن ليس أسوارًا وزنزانة، إنما هو عجز الإنسان عن تحقيق آماله، لا لأسباب خارجية، وإنما لقصور في ذات الإنسان وهمَّته.

ويتجلى التعبير بتوظيف رمزية السجن أيضًا في الكشف عن وتيرة حياة خالد خارج السجن، حيث كان يُظهر ضيقه من روتين أيامه المتشابه الذي لا يتغير، وهو ما عمّق لديه الإحساس بالملل وزاد من غربته.

والملاحظ أن الكاتبة قد نجحت في التعبير برمزية عن أزمة خالد النفسية والاجتماعية، كما أنها لم تغرق بتوظيف الرمز، مما يُوقع الرواية في دائرة التكلُف والصنعة؛ فالرمز هنا جاء شفيفًا ومعبرًا، يتناسب مع واقعية موضوع الرواية الذي لا يتحمل الإفراط في الرمز.

خاتمة الدراسة

قبل أن أنفض يدي من هذا البحث، يتعين عرض أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال محاولة رصدي للقوى الفاعلة داخل النموذج العاملي في رواية متاع، ويمكن عرضها على النحو الآتي:

أولًا: أظهرت الرواية قابلية كبيرة لتحليلها من زاوية (الرؤية وتعدد الذوات السردية)؛ لما انطوت عليه من أعداد هائلة من الذوات السردية التي ارتأيت أنَّ دراستها تكتمل في ضوء النموذج العاملي، حيث تنوعت هذه الذوات ما بين شخوص من لحم ودم، وجمادات، ومشاعر، أسهمت كلها في تشكيل ترسيمة الفواعل في الرواية.

ثانيًا: لم تهتم الكاتبة بالوصف الخارجي للشخصية، وإنما اهتمت بالكشف عن أبعادها النفسية ونوازعها السلوكية من خلال الحوار.

ثالثًا: تنوعت الشخصيات في الرواية ما بين شخصيات رئيسة، مثل: خالد عيسى، وسعيد خلفان، وأميرة، وراشد، وملاك، و...، وقد أدت هذه الشخصيات دورًا حيويًا في دفع الأحداث وتحريكها، أما الشخصيات الثانوية مثل: سوسن والسجان والضابط وغيرها، فإنها وإن لم تسهم بدور كبير في الحكي إلا أن قيمتها في ثانويتها، حيث أسهمت بمنح المكان طابعه، وإضفاء المصداقية على الحدث.

رابعًا: ظهر جليّاً أن الرواية ضمّت العديد من العوامل التي أدت دورًا مع الذات الرئيسة التي ترغب في إنجاز موضوع ما، بين (المُرسِل) وهو الدافع الذي يجعل الذات ترغب في إنجاز الموضوع، و(المساعد) الذي يعين الذات على إنجاز موضوعها، والمعارض الذي يحول دون تحقيق الذات لموضوعها، ثم (المرسل

إليه) وهو الاعتراف للذات بأنها أنجزت موضوعها بنجاح أو أخفقت في تحقيقه.

خامسًا: كشفت الدراسة أنّ العديد من الممثلين قاموا بأداء أكثر من عامل، مثل أميرة التي كانت العامل الموضوع الذي سعى خالد إلى تحقيقه ثم تحولها إلى عامل معارض أسهم في فشل خالد في الاحتفاظ بملاك، ومثل والد أميرة الذي كان عاملًا مساعدًا أعان الذات على إنجاز موضوعها، قبل أن يصير عاملًا معارضًا أسهم بتحريضه لأميرة على المضي قدمًا قي إجراءات الطلاق.

سادسًا: سعى العامل الذات إلى إنجاز ثلاثة مواضيع ، فشل في إنجاز اثنين، وهما: الزواج من أميرة ومن ملاك، ونجح في تحقيق موضوع واحد، هو الحصول على درجة الماجستير في القانون.

سابعًا: على مستوى بنية الرواية، يمكن القول: إنّ الحكي اتخذ في سيرورته خطًا طوليًاً، تمثل في حكاية خالد عيسى بطل الرواية، مع وجود خطوط صغيرة تتوازى مع الخط الرئيس، تمثَّلت في حكايات بعض شخوص الرواية، مثل: حكاية سعيد خلفان، وحكاية راشد، وحكاية عارف.

ثامنًا: على مستوى زمن الرواية، لوحظ أن آلية الاسترجاع هي المهيمنة على الحكي؛ فالزمن الذي يسير في اتجاه عكسي منذ اللحظة الآنية للسرد- وإن بدا خطيًاً- إلا أنه اعتمد على الرجوع بالزمن إلى الوراء، من خلال الاشتغال على آليّة التذكر لعرض أحداث وقعت قبل زمن التلفظ، وهو اللحظة التي كان خالد يروي فيها حكايته.

كما أن الزمن الكرونولوجي حاضرًا في الرواية؛ فالأحداث تجري صباحًا ومساءً، وفي الصيف والشتاء، وفي أيام الأسبوع، ما منح الرواية زمنها الخاص بها، حيث خلت من أيّ إشارات تاريخية تحدد الزمن الحقيقي للأحداث.

وإذا انتقلنا إلى زمن الحلم وجدناه حاضرًا في البنية الزمنية للرواية؛ فخالد عيسى - في المفتتح - يسترجع تفاصيل من حياته، وقعت في فترة زمنية طويلة في لحظات استغرقها زمن الحلم.

تاسعًا: اتسع الفضاء النصي للرواية اتساع فضائها الجغرافي؛ فالشخصيات تتحرك من الإمارات إلى القاهرة، وهولندا وأمريكا، وعبر شوارع وميادين، وداخل بيوت ومقاهي وفنادق، مع عدم إغفال المكان الرئيس في الرواية وهو السجن، ما جعل هذه الأماكن بمثابة البلاتوه الذي شيَّدت فيه الكاتبة هندسة مناظرها، تمنح الرواية قدْرًا كبيرًا من الرحابة والاتساع، لم يتناسب مع ضيق أفق خالد عيسى، وفراغ حياته.

وقد أشارت الكاتبة بنصَّها إلى أماكن حقيقية، مثل جامعة القاهرة، وفندق سميراميس، ومقهى الفيشاوي ومطعم أبي طارق...وغيرها، ما يمنح الحكي مصداقية، حيث يمكن للقارئ التأكد من حقيقة هذه الأماكن بزيارتها، وإن كنت أعيب على الكاتبة أنها لم تمنح الروح لهذه الأماكن، فبدت شاحبة، وغير مؤثرة في سلوك الشخصيات، وعلى مجريات الأحداث، بحيث إننا إذا قمنا - مثلًا- بإبدال مطعم آخر بالمطعم المشار إليه في الرواية لما تغير شيء.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

- رواية متاع، مريم حسن آل على، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٧.

ثانيًا: المراجع:

- بوخاتم مولى علي، مصطلحات النقد العربي السميائي- الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٥.
- مجموعة من الباحثين، طرائق تحليل السرد، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ١٩٩٢.
- مجموعة من الباحثين، نظرية المنهج الشكلي/ نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الشركة العربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٢.
- حميد لحمداني، بنية النص السردي في منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣.
- رابح بحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابه - الجزائر، ط١، ١٩٩٧.
- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.
- رومان جادور، تحديد النموذج الفاعلي، ترجمة: أحمد السمادنة، مجلة دراسات مغربية، الدار البيضاء، العدد ٨، ١٩٩٨.
- سامية أحمد الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار الفكر العربي، مصر، ط٣، ص٨١١.
- سعيد يقطين، قال الروائي/ البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١٩٩٧، ١.

- عبد الوهاب الرفيق: في السرد، دراسات تطبيقية، دار محمد على الحامي، تونس، ١٧٧٥، ص ١٣٢.
- يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، سلسلة دراسات نقدية، الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

References:

First: Sources

- Novel Mata', Maryam Hassan Al Ali, first edition, Arab Science Publishers, Beirut, 1st Edition, 2017.

Second: Reference:

- Bukhatim Mawla Ali, Terminology of Semiotic-Arab Criticism/Problem, Origins and Extension, Arab Writers Union Publications, Damascus, Edition 1, 2005.
- Group of researchers, Methods of Narrative Analysis, Publications of Union of Moroccan Writers, Rabat, Edition 1, 1992.
- Group of researchers, Theory of Formal Methodology/Texts of Russian Formalists, translated by: Ibrahim Al-Khatib, Arab Research Foundation, Beirut, Arab United Publishers Company, Casablanca, 1st Edition, 1982.
- Hamid La Hamdani, The Structure of the Narrative Text in the Perspective of Literary Criticism, Arab Cultural Center, Beirut, 2nd Edition, 1993.
- Rabeh Bahouch, Stylistics and Discourse Analysis, Publications of the University of Badji Mokhtar, Annaba, Algeria, 1st Edition, 1997.
- Rashid bin Malik, Dictionary of Semantic Analysis Terms of the Texts, Dar Al-Hikma, Beirut, 1st Edition, 2000.
- Roman Gadore, Defining the Subjective Form, translated by: Ahmed Al-Samadneh, Journal of Moroccan Studies, Casablanca, No. 8, 1998
- Saeed Yoktin, the novelist/the storytelling structures in the popular stories, Arab Cultural Center, Beirut, 1st Edition, 1997.
- Youmna Al-Eid, Techniques of Fictional Narration in Light of the Structural Approach, Critical Studies Series, Al-Farabi, Beirut, Edition 1, 1990.

Contents



UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

AL WASL UNIVERSITY JOURNAL

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal

ISSUE NO. 61
Ramadan 1442H - May 2021CE

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the **“Ulrich’s International Periodicals Directory”** under record No. 157016
e-mail: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae



UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

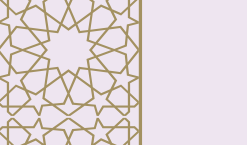
Al Wasl University Journal

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal - Biannual

(The 1st Issue published in 1410 H - 1990 C)

May - Ramadan
2021 CE / 1442 H



Issue No. 61
Email: research@alwasl.ac.ae
Website: www.alwasl.ac.ae